

آن أن يسعف تعريبَ التعليم العالي

قرارُ تدريس « معجم مصطلحات » موحدٌ في مادة التخصص (*)

للدكتور كمال الدسوقي

علمية تضم هيئاتهم العلمية المختلفة كما
تضم علماءهم في لغة علمية ذات
مصطلحات موحدة في كل علم - مثلما
كانت الحال عند أسلافنا ، ليسهل على
الخلف الأخذ عن السلف ، ويبنى الخالف
على ما سبق إليه السالف .

١ - تراكمات جهود التعريب في غير

تنسيق أو توحيد :

فقد خلُصت المؤتمرات والندوات التي
عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول
تعريب التعليم الجامعي في مجالات
المصطلح العلمي والترجمة والتأليف التي
أعدَّ لها الدكتوران عبد الحليم منتصر
وشكري فيصل ورقتي عمل اجتماع اتحاد
الجامعات العربية في الرياض (١٩٧٩)
ونشرت بالعدد الخاص لمجلة الاتحاد عام

لقد تجاوز مرَّ السنين تناولُ جهود
الجامع اللغوية العلمية العربية ومجالس
الجامعات العربية (قبل أن ينشط اتحادهما
منذ أول السبعينات . .) قضايا : التعريب
للتعليم - القائلة بأن تنسيق وتوحيد لغة
كل علم بالعربية هما - على حد تعبير
أمين المجمعين العرب الدكتور
شوقي ضيف أخيراً في ندوة تونس
(مايو ١٩٩٢) - الطريق إلى عالمية العلم
العربي في كل أرجاء العالم العربي ، وأن
تفاود وحدة لغة التعليم بالعربية - أي
الإجماع العربي لدى المتخصصين في كل
علم على مصطلحاته - هو السبيل إلى تناقل
العلم العربي من الجيل إلى الذي يليه .
« فلن يعود لأمتنا وعلومنا العربية دورهما
التاريخي العالمي إلا إذا تعاون أبناؤنا
المعاصرون على النهوض بالعلوم في وحدة

* - ألقى هذا البحث في الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر يوم الأحد ٢٦ من شوال ١٤١٣ هـ الموافق ١٨ من أبريل سنة

١٩٨٠ عن « تعريب التعليم الجامعي والعالي » . . إلى ظاهرة تعدد المعاجم المختلفة الخاصة بكل علم من العلوم ، بما يبرز الحاجة إلى إصدار معجم علمي عربي موحد يحقق الهدف الأسمى من أن تكون العربية لغة العلم والتعليم في جميع مراحله ، وضرورة أن تأخذ مكانها بين اللغات الحية المستعملة التي تصدر لغات العالم ، كما انتهت إلى دعوة حكومات وجامعات البلاد العربية إلى اتخاذ قرار أن تكون العربية لغة التدريس في جميع الجامعات والمعاهد العربية .

فالمجامع اللغوية - منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى ومرحلة ما بين الحربين (بدمشق والقاهرة) وما بعد الحرب العالمية الثانية (بغداد وعمان) وحتى نشوء اتحاد المجامع اللغوية (١٩٧٠) قد حققت أهداف قيامها (بنص قوانين إنشائها) على رعاية اللغة العربية وسيادتها . . . في إصدارات قوائم مصطلحاتها ، وإيجاد الكتاب العلمي المترجم أو المؤلف بلغة سليمة وإخراج جيد يقطع الطريق على التشكك والتردد . والجامعات العربية

أصدرت الكتب العلمية الجامعية التي نشرتها وزارات التعليم العالي والبحث العلمي - ملحقًا بها قوائم بالمصطلحات العلمية المستعملة في الترجمة - تضاف إلى ذلك جهود جامعة الدول العربية : في الشعبة القومية لليونسكو ، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط ، ومنظمة العمل العربية ، ولجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيش العربية . . وهناك أيضاً اتحادات الأطباء والمهندسين والمحامين والمعلمين العرب ، ومجالس العلوم والآداب ، ومؤتمرات التعريب بالرباط (١٩٦١) والجزائر (١٩٧٣) وطرابلس / ليبيا . . وندوات « أسبوع التعريب » في المغرب (يناير ١٩٦٣) وندوة مجلة الثقافة العربية للتعريب (١٩٧٥) ومؤتمر تعريب التعليم العالي ببغداد (١٩٧٨) والتعريب وقضايا اللغة العربية في التعليم الجامعي بالخرطوم (١٩٧٩) . .

وعلى صعيد آخر - هناك إلى جانب هذه الجهود الجماعية التعريبية التعليمية ، الجهود الفردية القيمة في تعريب التعليم الجامعي ترجمة أو تأليفاً ، وإصدار معاجم

عربية لغوية وعلمية متخصصة في مختلف
أقطار العالم العربى - منذ الرواد منير
بعلبكي وسهيل إدريس وجبور عبد النور
لمفردات الإنجليزية والفرنسية كمورد ومنهل
للمدارسين - بعد القاموس العصرى
بالطبقات المتجددة والأحجام المتعددة
لإلياس وأدوارد أنطون إلياس التي قررت
وزارة المعارف طبعتها الأولى لمعلمى اللغة
الإنجليزية والترجمة فى مدارسها الثانوية -
مثلاً كان يوزع علينا مختار الصحاح أو
المصباح المنير ونحن طلاب ثانوى .. حتى
أوائل المعاجم المتخصصة فى العلوم الطبية
والصيدلية (شرف ١٩٢٨ ، المتعدد اللغات
لكليرفيل ، ترجمة خاطر والخياط
والكواكبي بكلية طب الجامعة السورية ،
دمشق ١٩٥٦ ، ثم الطبى الصيدلى
الحديث لعويضة ١٩٧٠ وحتى الطبى
١٩٦٧ وتعويض الاسنان لميشيل خورى
١٩٧٠ ..) وفى علوم الفلك (أمين
المعلوف ١٩٣٥) ، والنباتات
(أحمد عيسى ١٣٤٩ هـ) والألفاظ
الزراعية (فرنسى عربى للأمير مصطفى
الشهابى دمشق ١٩٤٣) ، والنبات

والحيوان لمحمود البرعى .. عدا المعاجم
الجامعة لمصطلحات عدد من هذه العلوم
لعمر كحالة (١٩٦٣) والوارد منها فى
السنوات العشر الرابعة الأخيرة فى مجلة
المجمع العلمى العربى لنفس
المؤلف (١٩٧٢) والطبعة السابعة
لمصطلحات الكواكبي العلمية ، مطبعة
الجامعة السورية ١٩٥٦ - بل المعجم
الكهربائى الإلكتروني (إنجليزى فرنسى
روسى عربى لوزارة الدفاع السورية
١٩٧٨ ، والمصطلحات النفطية ، دار النشر
للبترول ١٩٧٢ ، ومعجم مصطلحات
البترول والصناعة النفطية لأحمد شفيق
الخطيب ، مكتبة لبنان ببيروت) التى
أصدرت فى ربع القرن الأخير ما يقرب من
مائتى معجم فى شتى فروع المعرفة
وبمختلف اللغات بكفاءة واقتدار سواء فى
دقة التحرير وروعة الإخراج) ، والمعجم
العلمى المصور الذى أصدره قسم النشر
بالجامعة الأمريكية بالقاهرة تحت إشراف
دائرة المعارف البريطانية ورئيس التحرير
الدكتور أحمد رياض تركى ..

وحتى هذه المرحلة ، كان تقييم هذه
الجهود الجماعية والفردية الذى بادر به .

الدكتور شكرى فيصل (١٩٧٨) يشير إلى تراكمات هذه الجهود المتكثرة بتنوع لا يصل إلى الوحدة - التى هى الهدف الكيىير والبعيد لهذه الوحدة . فمنظور هذه الجهود يرسم خريطة غنية بخطوط متداخلة ومتشابكة لما هنالك من تكامل وتقاطع ، تواصل وانقطاع ، قومية وإقليمية ، كلية وجزئية ، ضيق واتساع ، حذر واندفاع والمناهج ذاتها التى نحاول بتكليف تلمس هذه الوحدة داخلها ليس بينها هذا التماثل أو التوحد . فمن الأعمال المعجمية ما أثر النقل على التعريب ، الخطأ الشائع على الصحيح المهجور ؛ من أصحابها من اطمأن إلى النحت ومن أنكره ، من نزع إلى التشدد أو التيسير والنتيجة المنطقية لهذا التكثف والتنوع هى التشتت وبعثرة الجهود اللذان من شأنهما أن يصبح طبيعياً أن يجهل كل بلد عربى ما حدث فى البلد الآخر ، وألا تعرف إحدى الجامعات العربية ما يكون قد أخذ به من تعريب التعليم فى جامعة أخرى . فالكل يعملون بما يشبه أن يكون واحات منفصلة متباعدة على الأرض العربية العريضة لاتواصل ولا تتكامل . وانعكس ما فى

الحياة السياسية للبلاد العربية (من تنوع يقترب من التخالف وتكثف يقترب من التكرار) على هذا العمل العلمى الثقافى والتعليمى بحيث أصبحت المؤتمرات والندوات فى كل قطر تبدأ عملها من نقطة الصفر لامن حيث انتهت إليه المؤتمرات والندوات السابقة-والجميع مشاركون فيها .

ولعل مما ساعد على ازدياد تشتت تراكمات هذه الجهود الجماعية والفردية المتكثرة المتنوعة ما أسماه الدكتور فيصل بحق : « غياب مركز الدائرة » . ويعنى به تلك الغربة فى حياة الجامعات التى قصرت بها عن بلوغ هدفى تعلم العربية والتعليم بها والتردد طويلاً بين أن تظل بعيدة عن التعريب (للظروف التى أحاطت بها كما فى دول المغرب العربى خصوصاً التى كان عليها أن يتحقق لها أولاً تعلم اللغة العربية فى المراحل قبل الجامعية لكيلا يكون التعليم الجامعى بالعربية منبت الصلة بما قبله من مراحل وكأنه يبدأ دورة جديدة فى حياة الفكر والعلم مبتوتة الصلات بما قبلها من مراحل وما حولها فى نطاق المجتمع وتنميته ؛ بل الصلات بلغته القومية

وعرويته) وبين أن تنقذ الفكر اللغوى العربى بحشد جهود ضخمة ترافقها نوايا طيبة استغرقت المدى الزمنى الطويل للتغلب على ازدواجيات اللغة التي يمارسها أفراد كل مجتمع داخل كل قطر عربى . إن تأرجح موقف الجامعات العربية وتأخر اقتحامها ميدان التعريب والعمل به عن قناعة بالإيمان اللغوي وإلحاح حاجات المجتمعات العربية وتجارب الأقطار الأخرى فى المنظومة الدولية - حيث لم يكن الأمر يحتاج لأكثر من منهجية واضحة فى العمل تحرص على أن تجمع كل ما هو كائن لتفيد من كل جزئية فتضعها فى مكانها من البناء الكلى ، ثم وضع برنامج زمنى يراعى التزامه والتقيد به (حتى لا تبقى حكاية تعريب التعليم الجامعى حكاية لاتنتهى) - لهو الذي أدى بندوات ومؤتمرات مجامع وهيئات التعريب إلى التعميم والتكرار فى طرح المشكلة بما يجاوز الأهتمام بالعمل على حلها . فكما يقول الدكتور فيصل : كنا دائما نتحدث عن التعريب : عن إقراره أو إنكاره ، عن قبوله أو رفضه ؛ ولكن الجهد الأقل كان منصبا على التعريب ذاته .

وكنا نتحدث عن العربية وعبقريتها ، ولكن دون أن نستثمر - علي نطاق واسع - هذه القدرة وتلك العبقرية .

٢ - جماعية عمل اللجان (فالجالس والمؤتمرات) تخفف الحساسيات :

لا تزال هناك إذن بقايا الاجتهادات الفردية والجماعية على مستوى الأشخاص والتباينات المحلية الإقليمية على مستوى البلدان العربية - فيما يتعلق ببلورة المصطلحات وتهذيبها وصياغتها ، والتنسيق بين الجهود لتوحيد العمل بها وتبادلها واعتمادها معجم تعريب مادة تدريس أحد العلوم التى لها لجانها فى تشكيل المجامع اللغوية منذ سنة ١٩٥٨ - وقد بلغت فى مجمع القاهرة سبعا وعشرين لجنة منها للعلوم المختلفة ست عشرة (عدالجان الفنون وألفاظ الحضارة والفلسفة) هى لجان : الطب ، الكيمياء والصيدلة ، الأحياء والزراعة ، الفيزيكا ، الرياضيات ، الهندسة ، الهيدرولوجيا ، النفط ، الجيولوجيا ، الجغرافيا ، القانون ، الاقتصاد ، التاريخ ، الفلسفة والعلوم الاجتماعية

علم النفس والتربية ، المعالجة الإلكترونية للمعلومات . . تمر صياغة المصطلح العربى وبلورته بكل لجنة منها بمراحل إعداد وتحضير علي يد مقرر اللجنة (عضو المجمع المختص) والأعضاء والخبراء الذين يعاونونه (من كبار العلماء الأساتذة والباحثين فى المجال) ليتولى محرر اللجنة أمانة تدوين التعديلات و التنقيحات التي تسفر عنها مناقشات الجلسات الأسبوعية للمواد المعروضة - تمهيداً لتجميعها وترتيبها ألفبائياً (عربياً أو أجنبياً حسبما ترى اللجنة أنه الأنسب لموضوعها) وترقيمها وطبعها للعرض على مجلس المجمع فى جلساته الأسبوعية أيضاً ، مادة بعد أخرى - حيث يستعرض المجلس أعمال اللجان فيراجعها ويمحصها بالتدقيق فى تعريب المصطلح وصيغة التعريف ليعدّل ويضيف أو يحذف ما يراه لازماً (وربما ردّ بعض المصطلحات المختلف عليها إلى اللجنة لإعادة النظر فيها) . وإذ يبعث المجمع بأعمال اللجان التي يقدمها فى صورتها النهائية لأعضاء المؤتمر غير المصرين لإبداء رأيهم فيها حين يفدون إلى المؤتمر السنوى

للمجمع ؛ فإن ما يعتمد عليه الجميع فى هذا المؤتمر الجامع للمجمعين العرب يعد شهادة ميلاد المصطلحات الخاصة بالعلم من العلوم - كما يقال - التي تجيز لها أن تذيب وتنتشر .

ومع أن اللجان العلمية التي هى معمل التجهيز والتصنيع للصياغة والنقل والنحت والاشتقاق - وأعضاؤها وخبرائها على أعلى مستوى من تقادم الخبرة بتعريب وترجمة وتأليف وتدريس مادة التخصص لعشرات السنين ، وأمامهم على طاولة الاجتماع كل ما ظهر من المعاجم بالعربية والأجنبية ، ونُصب أذهانهم وفى وجدانهم قرارات المجمع العلمية والأدبية وقواعد العمل بالتعريب التي تعاهدوا عند اختيارهم مجمعين على الالتزام بها . . . فهؤلاء النجميون آخر الأمر بشر : لكل منهم ميوله وأذواقه وتفضيلاته التي ترسخت طوال معاشته لفكرة المصطلح الأجنبى (مبنى ومعنى) منذ استقر عليه فى المحاضرة والتأليف والبحث فأخذ به نفسه وتلاميذه وقراءه لا يريد به بديلاً أو يرى غيره أصح منه . . فهو شديد الحساسية لزعة هذا الرسوخ الفكرى التي

يحاولها زميل له ولو فى نفس التخصص الدقيق وبكتابه فى نفس الموضوع ومحاضراته لنفس الطلاب . لقد يرى أن أية ترجمة للفظ لا تعطى المعنى المقصود به فى لغته الأجنبية كاملاً ، فمن الخير رسم اللفظ بنطقه الأجنبى بينما يرى زميل لجنة آخر أن من المفيد إعطاء اللفظ العربى التراثى أو المولد أو القياسى أو الاشتقاقى ؛ قد يرى أن التعريب بما جرى عليه الاستعمال بين المختصين هو الأقرب إلي فهم الدارسين من الترجمة الدقيقة لغوياً التى يقترحها زميل آخر مهما تكن أصح - وإن كان لابد فهو لا يمانع فى وضعها بين قوسين ، قد لا يتحرّج من تعريف المصطلح بنفسه أو بأحد مشتقاته بدعوى أن أى مرادف للاصطلاح مها قرب لا يعطى نفس المعنى المقصود كتفسير (وإن خالف ذلك قواعد التعريف المنطقى بالحد أو الرسم) ولا مانع عنده من تكملة التعريف بمثال ؛ قد يفضل علي الفصيح المهجور العامى الشائع عند أهل الصنعة برغم التنبيه إلى أن عامية اللفظ تختلف من بلد عربى لآخر - مما يعوق هدف التوحيد النهائى للتقريب ،

قد يؤثر عند الاضطرار للنحت والاشتقاق أو التضيمن . . . الرجوع إلى المعنى اللغوى للفظ الأجنبى والعربى المقترح أو يقول أن لا شأن لنا إلا بالمعنى الاصطلاحي . . . قد يقبل الأخذ برضى نفس بذات تعريب المصطلح عند أصحاب علم آخر وثيق الصلة أو يضر على أن هذا هو شأننا فى الاصطلاح على هذا الاستعمال للفظ .

وإذ لا ينسى المجمعون أفراداً ولجاناً أنهم يُعربون لطلبة التخصص بما يسرّ التعليم بالعربية فلا بد من التعريف المركز المختصر الذى يسهل فهمه واصطناعه ، كما يتذكرون ضرورة الجمع بين قواعد التعريب الجمعية السائدة ومقتضيات الاستفادة بالجهود الجماعية فى خدمة مادة التخصص ؛ تخف الحساسيات الشخصية لدى المتمسك بأحد المصطلحات فى تثبيت وإصرار على أنه الأصلح - خصوصاً فى اللجان التى يتعدد أعضاؤها وخبراؤها بما يتسع لتبادل الآراء والنزول أخيراً على رأي الجماعة - خلافاً للجان التى لا يكون تشكيلها إلا من المقرر وخبيرين فقط - كما هو المعمول به وربما لتخصص مزدوج

كالتربية وعلم النفس ، أو متعدد كالفلسفة والاجتماع والمنطق حيث لا يتوافر مع المقرر إلا خبير واحد لفرع التخصص بافتراض العمل فى معجم شامل لعلم النفس والتربية فى اللجنة الأولى - أو الاقتصار على إعداد معجم فلسفة توزع مواده على أربعة خبراء يلتقى كل اثنين منهم مع المقرر مرة كل أسبوعين لسرعة الإنجاز وإن انعدم التلاقى للحوار والتنسيق . ومهما يكن من أمر ؛ فالذى يُغلب الجماعية على الفردية فى أعمال اللجان وإن قل أعضاؤها استشعار الجميع أن نتائجهم سوف يعرض على مجلس المجمع ليدقق النظر فيه ويراجع المقرر والخبير فيما يقترحه الأعضاء من تصويبات لغة أو تعديلات أسلوب فى لفظة التعريب أو صياغة التعريف - وإن كان قد انضم إليهم فى عمل اللجنة عضو مجمع مختص بإصلاح اللغة وسلامة التعبير . أما أعضاء مجلس المجمع فتقوى حساسيتهم بأن هدف جهود مجمعهم الأم هو تقبل المصطلحات التى يقرونها من أجل تبادلها والأخذ بها من جانب المجامع الشقيقة التى

يخضر ممثلوها المؤتمر السنوى بالقاهرة أو يذهب لديهم ممثلو المجمع الأم لإقرارها وإصدارصك توحيدها والتوجيه باعتمادها كمعاجم علمية موحدة .

٣ - معاجم الفلسفة بين الموضوعية

المذهبية والانحياز الايديولوجى :

وإذا كان هذا هو الشأن فى معيقات توحيد تعريب مصطلحات العلوم الأساسية والكونية التى لها موضوعية صياغاتها واستقرار دلالاتها على معانيها ، فكيف بأغلب العلوم الإنسانية التى لمصطلحاتها مفاهيمها الذاتية وقضاياها الفكرية ومذاهبها الفلسفية التى تعكس بالضرورة وجهة نظر مستعملها لما أراد (أو لم يُرد) صاحبها - مما نعبر عنه بقولنا « المعنى فى بطن الشاعر » ، أو ننقد مستعملها بأنه قولٌ منشئها ما لم يقله - خصوصاً إذا كان اللفظ موروثاً عن القدماء وتطور استخدامه عبر العصور - فليس مستحدثاً قد تلقاه المعاصرون على نحو موحد وتناقلوه بالاستحسان والموافقة على وتيرة واحدة ، أو كان معناه الاصطلاحي قد بُعد به كثيراً عن المعنى

اللغوى - بما يشير الجدل حول ضرورة مراعاة الأصل فى استعماله أو مَظانُّ الاصطلاح عليه - لعدم مجافاة المناخ الفكرى أو البيئة اللغوية التي نشأ فيها أو انتقل إليها . . . ؟ إن نظرة إلى ما يزيد علي سبعة عشر معجماً فلسفياً عربياً - فردياً أو جماعياً - ظهرت فى ربع القرن ما بين ١٩٦٣ ، ١٩٨٨ ، بالقاهرة وبيروت ودمشق وبغداد وتونس والدار البيضاء - لتكشف عن سعة البون بين مؤلفيها فى تناولهم الشخصى والإقليمى ، الفكرى والمذهبى ، التعريبى أم التأليفى ، التصنيفى أو الانتقائى - حتى فى اختيار المواد والأعلام التي يكتب فى التعريف بها ، الراجع الأخذ عن الفرنسية أو الإنجليزية أو الروسية أم عن التراث العربى ، الترتيبى للمواد أو الأعلام بألفبائية عربية أم أجنبية ، بل المبتكر لقواعد تعريب خاصة به فى التأصيل لكتابة الألفاظ والأرقام وفي التوليد والاشتقاق وضم مقاطع التراكيب ولصق لواحق تسميات العلوم والفنون اليونانية بأصل موضوع العلم أو الفن بالعربية فى مثل جمالوجيا = علم الجمال ،

وفكرلوجيا = الأيدولوجية . . قياساً على أن اللغوى الإنجليزى أو الفرنسى لم يكن يتخرج من بناء اللفظ من مقطعين لاتينى فيونانى ، إن السؤال هنا هو : كيف السبيل - ومعاجم الفلسفة هذه على ماهى عليه من نزعات التمييز والانفراد فى كل نواحى عملية التعريب - إلى أن يُرجى توحيداً ليعم استعمالها الوطن العربى من المحيط إلى الخليج ما لم يتنازل أصحابها عن رؤيتهم الذاتية للمفاهيم والمصطلحات - بصرف النظر عن انتقائية المذاهب والأعلام من شتى الأجناس فى القديم والحديث - فيعتمدوا (برضى نفس وقوة إيمان بالمصلحة القومية للعالم العربى) المعجم الموحد الذى يصدره اتحاد الجامعات العربية - سواء فى أعمالهم العلمية الفردية وفي تدريسهم للشباب العربى - علي نحو ما يحدث في تدريس العلوم الأساسية والكونية بمصطلحات عربية موحدة ؟

لقد كان أول عمل فلسفى فى الحديث نقلاً وتأليفاً هو « الموسوعة الفلسفية المختصرة » ترجمة عن الإنجليزية (لأساتذة فلسفة إنجليز وفرنسيين وألمان

وطليان) لموسوعة أيرسون قام بها الأساتذة
فؤاد كامل وجلال العشرى وعبد الرشيد
الصادق (بإشراف الأستاذ الدكتور زكى
نجيب محمود) لحوالى ثلاثمائة مادة : ٦٥
مصطلحاً ومائتين وأربعين فيلسوفاً من
اليونان والرومان والعصور الوسطى
والمحدثين . أضيف إليهم كتأليف :
الحديث عن أربع عشرة شخصية إسلامية .
ومن مجرد الاطلاع على أسماء مؤلفى
مقالات هذه الموسوعة فى الإنجليزية
وأسماء الناقلين إلى العربية - وخصوصاً
المشرف علي إصدار الموسوعة - يبرز
الاتجاه إلى إعلاء فلسفات الوضعية
والتحليلية المنطقية واللغوية ومناهج وفلسفة
العلوم (١٩٦٣) - يقابل هذا ترجمة
سمير كرم ومراجعة العظمة وطرايشى عن
الروسية للموسوعة الفلسفية (دار الطليعة،
بيروت ١٩٧٤) للقاموس الفلسفى الذى
وضعت له لجنة من العلماء الأكاديميين
السوفيت (وصدر عن دار التقدم ،
موسكو ١٩٦٧) بإشراف روزنتال ويادين
- حيث الطابع الأيديولوجى لمؤلفى
ومترجم ودارى نشر هذه الموسوعة - بل

المواد المختارة للكتابة عنها - يخشى معه
الناشر أن لا يخفى على القارئ ما يراد له
أن ينساق إليه من عدم حياد وموضوعية فى
جملة وتفاصيل ما يطرح من قضايا ويقدم
من معطيات . فيضطر المترجم والمراجعان
إلى اختلاف الترجمة العربية عن الأصل
من حيث استبعاد بعض المواد الخاصة
بالتعريف بمفكرين من الروس (وإبقاء
آخرين) قد لا تكون لهم أهمية كبيرة
بالنسبة للقارئ العربى - مقابل إضافة مواد
خاصة بشخصيات عربية تهمة من غير شك
- كابن خلدون والفارابى (وهى
ليست كل ما هو عربى مهم) قد أهملها
الأصل وهو يدعى « شمول معالجة
الموسوعة من حيث المضمون لكل ماله
أهمية فى حركة تطور الفكر الإنسانى
(وصراعاته و اتجاهاته ومفاهيمه) .

وكذلك استبعاد بعض مواد وأعلام
الفلسفة الشرقية القديمة - فارسية وهندية
وصينية - وإيراد أخرى - بما يتنافى مع
شمول الموسوعة المعلن عنه فى اهتمامها
بالفكر الفلسفى الشرقى القديم - وإغفالها
بالتالى لفلاسفة عرب كان لهم توجهات

مشرقية مضافة إلى اليونانية كالبيروني والشهرستاني . وعموماً الإغراق بإسهاب فى عرض مواد وأعلام : المادة ، المادية ، المادية التاريخية ، الجدلية ، الاقتصادية ، بل المادية الفرنسية فى القرن الثامن عشر . . . الماركسية . . . والإفاضة فى الحديث عن ماركس وبلينسكى ويليخانوف وتشيرفيسكى . . مقابل الإجحاف بأفلاطون وأرسطو وكانط الذين لم يحظ الواحد منهم بصفحة واحدة ؛ بل تحليل كتب بكاملها فى الفلسفة المادية : كأصل العائلة والملكية الخاصة والدولة (لانجلز) ، وتطور النظرة الواحدية للتاريخ (بليخانوف) ، وتعليقات ماركس على فيورباخ فى « الأطروحات » ، والأيدولوجيا الألمانية ، وبؤس الفلسفة .

٤ - نزعتا التوفيق بين المذاهب

والتأصيل المعجمى للمصطلحات :

وفى غير انحياز صارخ للمذهب الفلسفى أو الأيدولوجيا الفكرية هكذا نجد اتجاهين آخرين للتوفيقية بين المذاهب والتأصيل المعجمى للمصطلحات فى انفراد

مراد وهبة بإكمال وتنسيق جهده المشترك مع يوسف كرم ويوسف شلالة فى المعجم الفلسفى « من جهة (١٩٦٦) وأستاذ الأجيال جميل صليبا فى معجمه الفلسفى الكبير (بجزأيه ١٩٧١ ، ١٩٧٣) من جهة أخرى . لقد بدأت جهود الثلاثة الأول كرم وشلالة وهبة من منطلق استخراج المصطلحات الفلسفية من مؤلفات فلاسفة العرب الأقدمين وتعريب المصطلحات الواردة فى المعجم الفلسفى المبسط لكوفلييه فى اعتماد على معجم لالاند وقاموس رونز وأعمال مجمع اللغة العربية - كما جاء فى مقدمة الطبعة الأولى ؛ غير أن هدف « التجميع والتنسيق » الذى اضطلع به « للاستكمال والنشر فى قالب علمى دقيق » الدكتور مراد وهبة قد حدا به إلى أن تتعدد وتتويع مصادره ليشمل - إلى جانب ما سبق ذكره - معاجم أخرى وكتابات مؤلفين قدامى وباحثين وأساتذة فلسفة محدثين (يشير دائماً إلى اسمائهم قرين ما أخذه من تعريفاتهم) ، كما أنه فى استخدام

تعريفات القدماء يشير دائماً إلى
التهانوى (كشف اصطلاحات
الفنون) والغزالي (فى محك النظر ،
معيان العلم ، تهافت الفلاسفة ،
مقاصد الفلاسفة . .) وإلى ابن سينا
(النجاة والشفاء ، المنطق ، الإشارات ،
رسالة فى أقسام العلوم العقلية ، رسالة
فى الحدود) ، وهو يشير أحياناً
كثيرة لتعريفات الجرجاني كثرة إشارته إلى
لا لاند ، ورجوعه إلى ابن رشد فى كتبه :
تلخيص ما بعد الطبيعة ، تفسير ما بعد
الطبيعة ، تهافت التهافت ، وكذلك إلى
ابن حزم ، والفارابى (عيون المسائل ،
المدينة الفاضلة . .) والساوى (البصائر
النصيرية) والتوحيدى (المقابسات ،
الهوامل والشوامل) . .

وكما يقتبس مراد وهبة تعريفات
المحدثين من مؤلفات الفلاسفة عثمان أمين
وأبو ريذة وعبد الرحمن بدوى وزكى نجيب
محمود وثابت الفندى . . . بل يوسف
مراد ومصطفى سويف فى علم النفس
العام وسيكولوجية الإبداع والمذهب
التكاملى ، ويوسف كرم فى « العقل

والوجود ، وتاريخ الفلسفة الحديثة » ،
وعزيز الحبابى فى « كتابيه من الحريات
إلى التحرر ، والشخصانية الإسلامية » . .
لا يفوته أن ينقل عن الكتب المترجمة بل
الدوريات كمجلة الطبيعة ومجلة علم
النفس المصرية والمقتطف . . تعريفات
فلاسفة ومؤرخى الحركة الماركسية وانتحر
الوطنى والاشتراكية العلمية - إلى جانب
إيراده لنصوص من كتابات الفلاسفة
الأوربيين المحدثين عن : نقد العقل النظرى
الخالص والدين فى حدود العقل لكانط ،
ومونادولوجيا ليبنتس ، والطب التجريبي
لكود برنار . . ومؤلفات اسبينوزا واتسلر
وبرجسون . . وفلاسفة اليونان القدماء
أفلاطون فى محاورات فيدون وفايدروس
وثيائيتيوس والجمهوريّة . . . وأرسطو فى
كتاباته - مما لا يزال يزيد عليه وينقحه
طبعة بعد أخرى لتحقيق الإحاطة والشمول
وللإفادة خصوصاً من المصطلحات القديمة
فى الفلسفة العربية - وهما ما يميز بالفعل
هذا العمل المعجمى الأكثر عدداً فى
مصطلحاته الألف والخمسمائة المركزة بدقة
وإيجاز فى أربعمائة وستة وسبعين صفحة

مرتبة بألفبائية عربية وما يقابلها بالإنجليزية والفرنسية .

وفى موضوعية حيادية وشمول إحاطة أيضاً بمذاهب الفلسفة وإيديولوجية الفكر الفلسفى فى القديم والحديث شرقه وغربه مع التأصيل والتوثيق بالمصادر اللغوية والفلسفية العربية والأوروبية القديمة والوسيطه والحديثه ، نجد « المعجم الفلسفى » لجميل صليبا بمجلديه الكبيرين فى ألف وخمسمائة صفحة لألف وثلاثة وثمانين مصطلحاً وافياً بالتعريف والشرح لمعانى اللفظ لغوياً واصطلاحياً . فلاعتقاده بأن « الألفاظ حصون المعانى ، وتثبيت المصطلحات العلمية هو الحجر الأساسى فى بناء العلم » دعا العلماء إلى الاتفاق على معانى الألفاظ وكذلك إلى تثبيت المصطلحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبديل الألفاظ التى أفرغت فيها . فتلك هى المهمة الأولى فى الإبداع الفكرى الذى خير وسيلة إليه . هو هذا الاتفاق على تحديد المعانى - ليس فقط بوضع اللفظ العربى أمام مقابله الإنجليزى أو الفرنسى ؛ بل ببيان وجوه استعماله عن

طريق الرجوع إلى النصوص التى ورد فيها . وإذا هو وحده مجمع لغوى فلسفى ، يدعو صليبا لإنشاء مجمع علمى موحد يتتقى من الاصطلاحات التى اهتدى إليها النقلة المتخصصون اصطلاحاً واحداً يثبت ويحلها حظيرة اللغة . ولست مهمة مثل هذا المجمع فى نظره أن يضع هو نفسه اصطلاحاً علمياً جديداً ، بل أن ينقح ويمحص فيثبت ويوحد ما يجئ به العلماء المختصون . وأنه ليسرد قواعد التعريب التى تعارفت عليها مجامع اللغة العربية العلمية فى القاهرة ودمشق وبغداد وعمان لكى يلتزم بها العلماء فى وضع مصطلحات علومهم ، وقد ألزم هو نفسه بها فى معجمه - حتى يتبين الجهد الموسوعى العربى ويستفيد به الكافة إذ يجمع بين الرجوع للقديم الأصيل ومطابقة إستحداث الدخيل باقتباس أو اشتقاق صحيح لغوياً - كما فى أمثلة يذكرها فى تطبيق هذه القواعد على مصطلحات معجمه .

إن اهتمام الدكتور صليبا بلغة التعريب وإيمانه بضرورة أن تقوم مجامع اللغة بتثبيت

وتوحيد المصطلحات - إلى جانب التزامه هو بقواعد التعريب الجمعية . . . لتجعل من معجمه معجم ألفاظ - لا موضوعات أو مذاهب الفلسفة ، بعبارة أخرى لكأنه معجم لغة قبل أن يكون قاموس فلسفة . إنه يعطى الألفاظ الجارية استعمالها اليوم فى الأخلاق والمنطق والاجتماع وعلم النفس والميتافيزيقا والجماليات . . . مبتدئاً بإيضاح الأصل اللغوى للفظ ، ثم شرحه وتفسيره ، وإيراد نصوص فلسفية تبين وجوه الاستعمال التى له فى سياقها . وحين يجمع إلى جانب التفسير الموضوعى للفظ تفسيراً تحليلياً خاصاً به - بما له من تعمق فى بحور اللغة والفلسفة كليهما ؛ فهو بكل تواضع رجل العلم المتمكن يعرضها على أنها شروح تقريبية أو تفسيرات اجتهدية تقبل النقاش . وفى ثبوت مصادره الذى أورده نجد المعاجم اللغوية كالقاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس . . إلى جانب كتب العرب الأقدمين : تعريفات الجرجاني ، كليات

أبى البقاء ، كشاف التهانوى ، مفاتيح الخوارزمى . . . ومن الحديث كراسة المصطلحات والمعجم الفلسفى للمجلس الأعلى للفنون ومجمع اللغة العربية . . . بالإضافة إلى مصادره الغربية خصوصاً لا لاند وحبيلووبرتران وفولكويه . وإن نهج صليبا فى وضع معجمه الفلسفى على هذا النحو ليتجلى من مجرد الاطلاع على تناوله لمواد مثل : أخلاق ، إرادة ، إدراك - حيث فى هذه الأخيرة يورد المعنى اللغوى للفظ ، فمختلف معانيه فى الفلسفة العربية (لدى ابن سينا والجرجاني وأبى البقاء والغزالي والتهانوى والرازي) . ثم ينتقل لمعنى الإدراك فى الفلسفة الحديثة ، والفروق الدقيقة بين الإدراك والإحساس والتلقى من الخارج - ويعرض فى ذلك لآراء فريدومين دوييران ، ثم الفرق بين الإدراك والوجدان أو العاطفة ، ويستطرد للإدراك كما تناوله لينتز ، وللإدراك فى الاصطلاح الديكارتي وهو يطلق على جميع أفعال العقل .

٥- لا يزال للانتقائية والتفرد

سلطانهما على معاجم الفلسفة :

ومهما يمكن للترعة التوفيقية بين المذاهب من استطاعة التغلب على عدم الموضوعية بل الانحياز فى الموقف الفلسفى لواقع المعجم ، أو للتأصيل اللغوى من فائدة تثبيت المصطلحات ؛ لا تزال الانتقائية والتفرد - سواء فى اختيار المواد التى يراد التعريف بها والأعلام أو الشخصيات التى يُترجم لها - هما سمة معاجم الفلسفة خصوصاً والعلوم الإنسانية بوجه عام - لا قتران المذهب أو النظرية غالباً باسم مُنشئهما الذى لن يستطيع المدارس فهم وجهة نظره وكُنه مذهبهِ ونظريته ما لم يربط بين ظروف نشأته فى بيئته وعصره التى أدت به إلى تبنيّ هذا النظر أو اصطناع ذلك المذهب . نجد ذلك أظهر ما يكون فى معاجم « أعلام الفكر الإنسانى » الذى أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٤) تكملةً لنشر عمل سابق ككراسة مصطلحات ، وفى معجم

الفلاسفة (مناطق ومتكلمين ولاهوتيين ومتصوفة) لجورج طرابيشى - بل حيث يوجد الجمع بين المصطلحات والأعلام فى سائر المعاجم - من باب أولى للوفاء بالجمع بين المقالات والشخصيات . فالأول (معجم أعلام الفكر الإنسانى) الذى صدر عن لجنة الفلسفة والاجتماع بإشراف الاستاذ الدكتور إبراهيم بيومى مذكور وأعدته نخبة من الأساتذة المصريين - محتويًا على عرض (فى ألف ومائتى صفحة) لثلاثمائة من الأعلام مرتبة بالالفبائية عربية حسب الشهرة بابن الهيثم ، سقراط ، النظام . . . كان المشاركون فى إعدادها اثنين وأربعين أستاذًا تفاوت إسهام كل منهم ما بين كتابة مادة واحدة (= ٩) إلى مادتين (= ٣) إلى ثلاث مواد (= ٣) فأربع (= ٣) ، فخمس مواد (= ٤) . . . حسب اهتمام كل منهم بشخصية المفكر ؛ يونانية ، إسلامية ، فرنسية ، روسية . . . وهكذا : ست مواد (= ٢) ، ثماني مواد (= ٣) ، تسع مواد (= ٣) ،

ومن بين كتّاب عشر مواد كتب واحد عن
أعلام إسلامية ومتصوفة ، أما الباقيون فقد
حرروا من إحدى عشرة مادة إلى عشرين -
حسب اهتمام كل منهم بمذهب المفكر
وفلسفته هنا وهناك في القديم والحديث .
أما العمل الموسوعي الضخم الذى
اضطلع به جورج طرابيشي (١٩٨٧)
ترجمة وتأليفاً وتصنيفاً فى ستة أجزاء كما
قدّر له : يتناول الأول منها الأعلام ،
والثانى المؤلفات ؛ وكانت خطته أن يدرج
المفكر فى الجزء من الموسوعة الذى يضم
زمرة بحسب غلبة تفكيره الفلسفى (الذى
لا يخلو أن يميل به إلى طائفة المناطق أو
المتصوفة أو المتكلمين أو يجنح به إلى أهل
الاجتماع أو الاقتصاد وسائر العلوم
الإنسانية) ؛ فقد أدّى به تداخل المذاهب
الفلسفية وتشابك الفكر الإنسانى إلى أن
يسلك ماركس فى زمرة الفلاسفة لا مع
علماء الاقتصاد ؛ بينما أدرج ريكاردو وآدم
اسميث ضمن علماء الإنسانيات (فى
الجزء الثالث من المعجم) ، والحال كذلك

فى إدراج ابن خلدون ولوفيفر ضمن علماء
الإنسانيات بوصفهما علماء اجتماع . .
ولكل من هؤلاء فلسفته الاقتصادية
والاجتماعية منذ كانت الفلسفة أم العلوم
وكان الفلاسفة العرب يكتبون فى الطب
 والرياضيات والموسيقى والفلك بل طبائع
الحيوان والنبات - لكنه الاضطرار للتصنيف
بحسب غلبة النشاط الفكرى المتميز
للفيلسوف . ومع أن خطة طرابيشي فى
معجمه الطموح كانت صدور معجم
الفلاسفة كمفكرين ، يليه معجم المؤلفات
الفلسفية كمذاهب ونظريات ؛ فإن توقيع
المقالات بأسماء محرريها من المتخصصين
وأساتذة الجامعات - على غرار ما جاء فى
معجم لالاند (وغيره من المصادر المعجمية
الفرنسية والروسية والإسلامية التى اعتمد
عليها ليضيف إلى معجمه ما يقرب من
ثلث حجمه عن الفلاسفة غير الأوربيين
..) قد اضطر إلى تذييل المقالات عن
المفكرين بمقتطفات مما قالوه فى أهم
مؤلفاتهم ، بل بآراء الباحثين والنقاد فى

مذاهبهم على مر العصور - مما يضع
القارئ أمام أحكام متناقضة تناقض وجهات
نظر المذاهب المخالفة جميعها ، فبعد أن
يفرغ أرماندو بليب مثلاً من الحديث عن
هجل يعرض لما قاله عنه جوته وماركس
ومايني وميرلو بونتي وماركيوز وألكسندر
كوجيف . ومع تميز هذا المعجم بتحقيق
التوازن في نوعية المواد التي يعرضها لنبذة
مفكرى الغرب والشرق - في القديم
والوسيط والحديث حتى الأحياء المعاصرين
- وفي حجم الكتابة عنهم ؛ لم يكن
بوسع المصنف أن يحقق توازناً في توزيع
الألف والأربعمئة والأربعين مادة على
الفبائية أسماء الأعلام - فجاء ذكر من تبدأ
أسماءهم بحرف الألف في مائة وعشر
صفحات (٢٤٢ علماً) ، بالباء في ست
وثمانين صفحة (١٢٠ - ٢٠٦ لثنتين
وسبعة عشر علماً) ، بحرف الكاف في
سبع وخمسين صفحة (٤٦١ - ٥١٨)

ولمئة وعشرة أعلام ، يليه حرف الميم في
حوالى خمسين صفحة لمئة علم - وهكذا
- بالفاء ٩٢ ، والسين ٨٢ ، واللام ٨٠ ،
والعين ٧٧ ، والهاء ٦٣ ، والراء ٦١ ،
التاء ٥٠ ، والنون ٤٥ ، الجيم ٤٠ . أما
أقل عدد أعلام فهو ما بدأ بالحرف
ض (= ٢) ، ط (= ٦) ، ث (= ٧) ،
خ (= ٨) ، غ (= ١١) ، ز (= ١٢) ، ح =
١٣ ، ق = ١٤ ، د = ١٥ حتى
الواو = ٢٠ . (١)

وإذا كانت الانتقائية في عرض مذاهب
الفلسفة وأعلامها - سواء لغرض التوفيق
أم الانحياز - شراً لا بد منه لمن يتصدون
لوضع المعاجم الفلسفية ؛ فإن التفرد هو
الآخر قدر مقدور - لا بمعنى الانفراد
باستكمال عمل جماعى (كما فى استمرار
وهبة بجهود كرم وشلاله نحو
الكمال) كما رأينا ، بل بمعنى أن
يكون الانفراد من الأصل أو فيما بعد

(١) عن بحث غير منشور للدكتور أحمد عبد الحليم عطية ، بعنوان : الموسوعات الفلسفية المعاصرة فى العربية - قراءة
تحليلية نقدية ، ص ٣٥ - مقدم من الدكتور حسين عبد القادر .

للاستثمار ابتغاء التمايز والتوحد - لأن ذلك يعود بنا القهقري من الجماعية إلى الفردية ومن الموضوعية إلى الانحياز في الفكر وفي الاصطلاح . من ذلك أن يستكمل توفيق سلوم معجمه الفلسفي المختصر (١٩٨٦) بتلخيص الموسوعة الفلسفية لسمير كرم من نفس وجهة النظر الروسية ، فيقدم لنا ٤١٠ مقالاً تعرض بالنقد للاتجاهات الأساسية في الفلسفة المعاصرة ، ونظرية المعرفة والمنطق الجدلي - قديمها وحديثها ، وليس للأعلام فيها قسم مستقل بل هي ترد في سياق المصطلحات وفي فهرس للأعلام (ص ص ٥٥٠ - ٥٩١) . ثم يأتي الدكتور عبد الرزاق مسلم الماجد فيقدم لنا عملاً بعنوان «مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع» (منشورات دار الكتب العصرية ، صيدا - بيروت لبنان ، بدون تاريخ) يذكر فيه صراحة اعتماده على القاموس الفلسفي الروسي المختصر في عرض وجهتي النظر الأساسيتين في الفلسفة : المادية والمثالية .

ثم يؤيد وجهة نظره في انحياز للفلسفة التي ولدت وستبقى طبقية منحازة بأن وجودنا في عالم تتناقض فيه مصالح الطبقات والفئات الاجتماعية يحتم علينا أن ننحاز إلى فئة دون أخرى - حيث يظهر انحيازه هو فعلاً في عرض ٨٤ مادة مرتبة ألفبائياً كجزء أول ، يلتوه جزء ثاني مكمل له يتناول أعلام الفلسفة والاجتماع ويأتي أيضاً محمد جواد مغنية فيقدم لنا « مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات » (دار مكتبة الهلال ، بيروت ، بدون تاريخ أيضاً) على أنه « عمل تجميعي أفاد فيه صاحبه من الأعمال الموسوعية السابقة ونقل عنها - خصوصاً صلياً ووهبة الموسوعة المختصرة (إشراف زكي نجيب محمود) وموسوعة سمير كرم الفلسفية . . . فليس له في هذا الجهد إلا الاختيار والتوضيح والإبانة في النقل ، والمعجم قسماً الأول منهما للمصطلحات (١٨٠ مادة) ابتداء بالهمزة و (ال) التعريف في ٢٤ مادة : الأبتولوجيا ، الأبيقورية ، الأثنولوجيا ،

الأرستقراطية ، الاستبطان ، الاستقراء ،
الاستنباط ، الأسطقس ، الإشراق ،
الإضافة ، الاقتصاد ، الأقنوم ، الأكاديمية ،
الأمبريالية وفى الباء : مواد :
بابوفيه ، البراجماتية ، البرجوازية ،
البرهان ، البعد ، البقية ، البيرونية ،
والتاء : التالى ، التأليه ، التاوية . . .
حتى الياء : اليسار ، اليمين ، اليسوجا .
أما القسم الثانى فهو للأعلام (٦١ علماً)
تبدأ بـ ابن باجة وتنتهى بـ ياسبرز .

٦ - التفرد للتمايز الذاتى ، أو للانطلاقة العربية أو الحماس للقومية فى التعريب والتعليم :

وليس للتفرد فى إصدار معاجم
المصطلحات الفلسفية وأعلام الفكر
الإنسانى عموماً من مخاطر على الاستفادة
بوحدة التعريب فى توحيد لغة العلم
والتعليم إلا بمقدار ما ينزع هذا التفرد
لتقرير الذات ، أو التحمس للقومية ، أو
استهداف الانطلاقة العربية نحو فلسفة
خاصة بالعرب تنهض بإنتاجيتهم للفكر

العلمى العالمى بدلاً من استمرار
استهلاكيتهم لمعارف وثقافات الغير .
فأستاذ الفلسفة المصرى الكبير الدكتور
عبد الرحمن بدوى الذى تفرد من بين
أعضاء لجنة الفلسفة بالمجلس الأعلى لرعاية
الفنون والآداب (١٩٦٤) بكتابة مقدمة
كراسة " مصطلحات الفلسفة " كعمل
تمهيدى لمعجم (مصطلحات) الفلسفة
الذى صدر - لا عن المجلس الأعلى
للثقافة - بل عن مجمع اللغة العربية
بالقاهرة (١٩٧٩) - فى حوالى مائة
صفحة تقابل ألفاً وستمئة لفظاً فرنسياً أو
إنجليزياً بترجمته العربية عن الفلسفة اليونانية
أو الإسلامية باعتماد رئيسى على لالاند
. . . قد تفرد أكثر تمايزاً وتمركزاً حول
الذات (بعد عشرين سنة) عن كافة
الزملاء من أساتذة الفلسفة وواضعى
معاجم الفلسفة بإصدار موسوعته الفلسفية
الكبيرة (بيروت ١٩٨٤) فى جزأين يقول
فى مقدمتها : وقد استقصيتُ فيها أمرين :
الأول أن تشمل كل ذى شأن فى الفلسفة

على مدى تاريخها من منشئ مذهبها ومؤرخين لها ومهمين في تطورها ، والثانى يتناول أمهات المذاهب الفلسفية والموضوعات الرئيسية التى تندرج فى ميدانها . لكننا حين نستعرض ٢٣٨ مادة كتب عنها فى ١٥٠٠ صفحة لا نجد غير ١٤ مادة عن فلاسفة عرب ومسلمين قدامى ومحدثين واثنين فقط مصريين هما : عبد الرحمن بدوى (ص ص ٢٩٤ - ٣١٨) ومصطفى عبد الرازق . فالموسوعى عبد الرحمن بدوى الذى ألف وترجم وحقق ونشر مئات الكتب فى الفلسفة القديمة والوسيطه (الإسلامية والمسيحية) والحديثة والمعاصرة . . . لا يسعه إلا أن يستمد من ذاته ويتقى من كتاباته ، وقد اعترف بذلك صراحة إذ يقول : وفى تحريرى لمواد هذه الموسوعة قد استعنتُ - كما هو طبعى - ببعض ما سبق لى أن عرضته فى كتب لى سابقة ، غير أن انتقائته للمواد من بين ما سبق أن كتب عنه لا تفى بوعده أن تشمل موسوعته « كل

ذى شأن فى الفلسفة على مدى تاريخها من منشئ مذاهب ومؤرخين ومهمين فالموسوعة إذ اشتملت حقاً على معظم من ترجم لهم أو حقق أو نشر ؛ أغفلت الكثيرين جداً ممن سبق له الكتابة عنهم من فلاسفة العرب وعلمائهم متصوفتهم ونقلتهم الأوائل مترجمى العلوم - حتى ابن خلدون - إلا إذا كان لا يعده فيلسوفاً - فلم تزد نسبة الفلاسفة العرب فى موسوعته العربية على ٦ ٪ . ونتيجة أخرى لهذا الاجترار الذاتى أنه لم يوجد توازن فى حجم المقالات عن الفلاسفة المختارين ممن ألف عنهم كتباً كاملة (أو لم يؤلف عنهم من قبل من فلاسفة الغرب المحدثين - بما يرفع به بعضهم فوق بعض درجات) - وخصوصاً إعلاؤه لفلاسفة الوجودية وكتابته عن نفسه ورساليته فى الماچستير والدكتوراه ما يقرب من ثلاثين صفحة عن " مشكلة الموت " والموت والعبقريه ، " ومذهباً الوجودى " : الزمان الوجودى . وعلى عكس هذا التفرد للتمايز

والاستعلاء ، ومن منطلق الإحاطة والشمول - ابتغاء الابتكارية والإبداع فى فكرنا الفلسفى الحديث الخاص بنا كأمة عربية تسعى لبعث حضارتها وإحياء نهضتها - لكيلا تظل برامجنا الثقافية تجعل منا مستهلكين وتابعين لعلوم ومعارف الغير ، بل نتحول إلى إنتاج العلم والمعرفة . . .

ظهرت عن معهد الإنماء العربى ببيروت أخيراً (الجزء الأول ١٩٨٦ والثانى بقسميه ١٩٨٨) " الموسوعة الفلسفية العربية " الضخمة التى خطط لها أن تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية مستقلة لكنها متكاملة ، الأول للمصطلحات والمفاهيم (٣٥٠ مادة فى ٨٤٩ صفحة) ، والثانى بقسميه للمدارس والمذاهب والتيارات (٨٨ مادة حتى حرف (ش) فى ٨٠٤ صفحة ، ٧٥ مادة حتى حرف الياء فى ٧٩٨ صفحة) ، والثالث للأعلام - حيث فى توازن واعتدال ترك لكل مشارك أن يختار منهج تناوله لمادته وجاء مقاله منسوباً إليه يحمل اسمه . و المهم فى هذه الموسوعة ،

الإجمال النقدى لرئيس تحريرها معن زيادة لتصنيف جميل صليلاً للتيارات والاتجاهات الفلسفية فى الوطن العربى إلى سبعة اتجاهات : الفكر المادى (ممثلاً فى الدارونية العربية) فالعقلانية (الدينية عند محمد عبده وفريد وجدى ، الفلسفية : يوسف كرم وشارل مالك) ، فالمثالية (وجدانية العقاد ، جوانية عثمان أمين ، رحمانية الأرسوزى) والتكاملية (يوسف مراد والوجودية (عبد الرحمن بدوى) والشخصانية - كرد فعل للوجودية والماركسية كليهما (عند رينيه حبشى وعزيز الحبابى) وأخيراً تيار الاتجاهات العلمية (يعقوب صروف ، إسماعيل مظهر ، زكى نجيب محمود) .

إن معن زيادة يأخذ على هذا التصنيف أنه غير شامل لما استجد على الساحة من فكر عربى حديث منذ مطلع القرن الحالى - كالتيارات : القومى ، الاشتراكى ، الماركسى . ويقترح من جانبه تصنيفاً جديداً يأخذ فى الاعتبار العلاقة الجدلية بين

الفكرين العربى والغربى الحديث التى جعلتنا نتخذ إزاءه أحد ثلاثة مواقف :

١ - فريق يرفض الفكر الوافد من الغرب - إبتداء من السلفية الوهابية وانتهاء بالحركات الأصولية المعاصرة ، بحسبان الثقافة الغربية خطراً يهدد المجتمعات الإسلامية - كالمهدية فى السودان ، السنوسية فى ليبيا ، الأمير عبد القادر الجزائرى ، رجال الإصلاح رشيد رضا وشكيب أرسلان والأفغانى ؛

٢ - وفريق يُقبل على الغرب فينقل ثقافته ويتبنى أفكاره - مُعرضاً عن اتخاذ الثقافة العربية كأساس أو منطلق - من هؤلاء أصحاب الاتجاهات المادية والوضعية والوجودية (شميل وزكى نجيب وبدوى والماركسيون العرب)

٣ - الفريق الثالث ويضم الاتجاهات التوفيقية فى الفكر العربى التى قاد زوادها التيار القومى وحركة الاشتراكية العربية منذ رفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسي . والموسوعة تعرض كل هذا فى إطار وحدة

العقل الإنسانى ووحدة المعرفة البشرية لتركز على أن التوفيقية كاستعارة وتبادل ثقافات الشعوب الأخرى ربما تعدّ ضرباً من الابتكار وإيجاد الحلول على طريق التحول الثقافى الذى قد يؤدى إلى التحديث والإبداع فى فكرنا العربى الفلسفى .

وهناك أيضاً التفرد المتحمس لداعى القومية فى التعريب والتعليم الذى تميز به الأحبابى وزملاؤه فى " ندوة الموسوعة " التى أصدرت فى الدار البيضاء (١٩٧٧) - بالتعاون مع مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بتونس - معجم " المعين : فى مصطلحات الفلسفة والعلوم الانسانية " فالجزء الأول من هذا العمل الجماعى يغلب عليه " المذهب الأحبابى " فى ضرورة تطوير اللغة وتطويرها من أجل ملاحقة تيار العلم المتدفق - خصوصاً القوانين التى تتصل بجميع أصناف المعرفة لكل لغة حية ، وأن على الجامعات المغاربية أن تتأهب لإصلاحات تعليمية وتعريب قطاعات الإنتاج - دون تهيب لما يروجه البعض من

أن اللسان العربى قاصر عن أداء مطالب هذا العصر ، فهو لسان قد أدى خدمات حاسمة للحضارة الإنسانية فى العصر الوسيط ولعدة قرون ولن يعجز عن القيام بذلك من جديد فى العصر الحديث . ثم إن « الكرامة القومية والوفاء للتراث العربى الإسلامى - كما يقول فى مقدمته - الزمانا أن نتخذ من التعريب مبدأ أساسياً للحركة الثقافية التى بدأنا نخوض غمارها، كما أن العقل والتاريخ أقرانا بأن نحافظ على التراث دون أن نضحى بالمكتسبات الحديثة من لغة وعلم وتقنيات » .

من هذا المنطلق ، جاءت الاجتهادات الجليلة للدكتور محمد عزيز الحبابى كرائد من رواد حركة التعريب للتعليم فى المغرب العربى الكبير (منذ استقلال بلاده عن الاستعمار الفرنسى) تجلّ عن الحصر ، والقليل منها ما كان قد أخذ به بعض أصحاب المعاجم فى المشرق العربى فى سوريا ولبنان (اللتين كانتا تحت الاستعمار الفرنسى أيضاً حتى منتصف الأربعينات)

- كتفضيل ترجمة المصطلح ' مذهب ذرى ' بلفظ واحد هو ' الذرية ' لا ' نظرية الذرة ' ، وإرداف اللفظين العربى والأجنبى عند الكتابة بأيهما ، واستعمال الأرقام العربية التى يستعملها الفرنجة بدل الهندية الجارى استعمالها فى العربية ، وتفضيل المأنوس من الألفاظ الشائع استخدامه ، وعموماً القياس والنحت والاشتقاق والتوليد على طريقة المجمع المصرى ومعجم جميل صليبا ، وإيراد معانى اللفظ بلونيات دلالاته وتراكيبه قبل إيراد معانيه الاصطلاحية . . . غير أن للأستاذ الأحابى فى هذا الشأن عبقریات قد لا يسهل تعميم الأخذ بها وشيوعها . ففى الكلمات المركبة من مقطعين ثانيهما (لوجيا) بمعنى العلم - مثل انثروبولوجيا = علم الانسان ، ايدولوجيا = علم الفكر . . . هو يترجمها فى الأولى علم الأناسة ، وفى الثانية فكر لوجيا . ويقول جمالوجيا - Aes-thetics لعلم الجمال - مع مجادلته بحق فى أن الجمال فن تذوق وليس علماً ،

وأن (لوجيا) الموجودة فى أيديولوجيا معناها القول أو المقال Discours - وهو يدافع عما يسميه اللواصق (سوابق ولواحق) هكذا بأن الغربيين لم يمتنعوا عن إلصاق كلمتين من أصل يونانى ولاينى - فى مثل سيوسيولوجيا - حيث سوسيوس ، لاتينية ولوغوس يونانية = علم الاجتماع .
وإنه إمعاناً فى التعريب ليرجم الجوريتم أو اللوغاريتم : خوارزمية ... وهكذا .

٧ - لا مدعاة بعدئذ للتهيب والتردد ، حتى تبلغ المسيرة غايتها :

ونحن لا نجحد لآى مبدع فى تعريف المصطلحات بذوق فنى وحس لغوى مرهف إشراقاته النورانية وتجلياته الملهمة التى ترقص قلوبنا لها طرباً وإعجاباً ، ونتمنى لو لم يكن قد سبقنا إليها - لكن المشكلة التى لم يعد حلها يحتمل الانتظار هى حاجتنا الملحة للاصطلاح على لفظ موحد نكتب به وتداول بلسان وقلم قوميين عربيين ، وفكر علمى عصرى مشترك على طول وعرض أقطار عالمنا

العربى . فلصالح وحدة التعريب للتعليم فى الوطن العربى لا سبيل أمامنا غير اعتماد معاجم مصطلحات تعريفات العلوم التخصصية الحديثة التى أصدرها مجمع اللغة العربية الأم وتقبلها وأفاد بموافقة عليها ، ودعوته لتعميم الأخذ بها أعضاء اتحاد الجامعات اللغوية العلمية ، كى يستقر استخدامها لدى المختصين بكل منها - دراسيين ومدرسين وباحثين ومفكرين فى كل أعمال ترجماتهم ومؤلفاتهم ومؤتمراتهم . لقد فرغ مجمع اللغة العربية بالقاهرة من إصدار قوائم مصطلحات فروع العلم والقانون والفلسفة التى بلغت عدتها - حتى العيد الخمسين للمجمع ١٩٨٤ - أربعاً وعشرين مجموعة سدت بالفعل حاجة التعليم العام ، بما توافر من رصيد كاف من هذه الإصدارات السنوية منذ إنشائه . وحين وجّه عنايته لمطالب الدراسات العليا الجامعية ومطالب الترجمة والمترجمين ، وجدّ منذ دورته الأولى أيضاً بلجانه الخمس الأساسية للعلوم والآداب

والفنون التي تجاوزت بعدئذ السبع والعشرين - في جعل اللغة العربية تفي بمطالب العصر من العلم والتكنولوجيا بانتقال من البداوة المتخلفة إلى التحضر والتقدم ، ونشط أعلام المجمعين في أعمال قواعد صوغ المصطلحات العلمية الحديثة بالنحت والتوليد والترجمة ، وتذليل البوادي واللواحق في الألفاظ الأجنبية التي لا يوجد لها نظائر في العربية التي عبر عن بعضها لأمين المجمع حيثئذ الدكتور محمود حافظ مقرر لجنة علوم الأحياء والزراعة ، كما قدم نهج تعريب وترجمة المصطلحات العلمية (١٩٨٠) ليقره المجمع ويبلغه الجامعات والهيئات اللغوية والعلمية الأستاذ الدكتور محمود مختار - الذي أورد في بحثه بمجلة المجمع (١٩٨٤) قائمة بما تم إنجازه في تسع لجان علمية ، من وضع التحديد العلمى بأسلوب مجمعى للمصطلحات على النحو التالى :

معجم الفيزيكا النووية : ١٢٠٠

مصطلحاً ، معجم الجيولوجيا ٤٥٠٠ ، معجم الفاظ الحضارة والفنون ١٢٠٠ ، معجم الفلسفة ١٢٠٠ ، المعجم الطبى (جزء أول) ٨٠٠٠ مصطلحاً ، معجم الفيزيكا الحديثة ج ١ ٤٥٠٠ ، الكيمياء والصيدلية ج ١ ٥٠٠٠ ، الأحياء والزراعة ج ١ ٥٠٠٠ ، علم النفس والتربية ، حوالى ألف . وقد نشر الجزء الثانى من معجم الفيزيكا الحديثة (١٩٨٦) والبيولوجيا فى علوم الأحياء والزراعة (١٩٨٨) والمصطلحات الطبية (١٩٩٠) - بخلاف ماتم إعداده للعرض على المجلس فى هذه الدورة وما هو قيد الإعداد والتحضير فى شتى اللجان لكل فروع العلوم الأساسية والتطبيقية والإنسانية للعرض فى دورات قادمة . . . قدر العلامة شوقى ضيف (١٩٨٤) أن المجمع قد أنجز ما ينيف على ستين ألف مصطلح يتقبلها قبولاً حسناً ويستخدمها فى مؤلفاتهم ومترجماتهم ومؤتمراتهم العلماء العرب وأصحاب المعاجم العامة والمعاجم

العلمية المتخصصة ، بما يبشر بأن ما تصبو إليه البلاد العربية من تعريب التعليم الجامعي يوشك أن يصير قاب قوسين أو أدنى .

فحتى لا تظل معاجم العلوم التخصصية هذه التي أنجز تعريب وتعريف مصطلحاتها حبيسة في معاجمها دون استعمال لها كعملة عربية موحدة - حيث من عيوبنا أن نضع المعاجم وتمتلئ بالآلاف المصطلحات ولا تستعمل - لأنها تحبس في داخل المعجم وعلى الرفوف . . - كما قال الدكتور شوقي ضيف ، في ندوة توحيد تعريف المصطلح الطبى (قرطاج / تونس ١٩٩٢) - ولكى تكون طريقة إثبات قدرة تعريب المصطلحات العلمية على الوفاء بأغراضها أن نتكلم بها ونستخدمها في مختلف مجالات الحياة وأن ندرس بها - كما أن أحسن طريقة لإثبات قدرتنا على المشى أن نمشى فعلاً - على حد تعبير رئيس بيت الحكمة الدكتور سعد غراب ، في جلسة افتتاح نفس الندوة ، ولكيلا

تحدث ردة أو تردد عن التعليم بالعربية في الجامعات ، بعدما قطعت الشوط الطويل في هذا المضمار ببعض كليات العلوم والطب والصيدلة ، أو يعلو من جديد صوت التخوف والاشفاق من أن تدريس الطب أو الهندسة بالعربية سوف يهبط بمستوى الممارسة والبحث في التخصص كليهما - والمناداة بالتالى بضرورة تقوية طلاب الجامعات - حتى في الدراسات العليا - بمقرر فى اللغتين العربية والأجنبية معاً . . لا مفر من عدم التلفت إلى الوراثة فى الإقدام على عملية التعليم بالعربية فى كل أقسام التخصصات العلمية بالجامعات والمعاهد العليا - مرحلياً بازدواج لغة التعليم التى تحرص على وضع المقابل الأجنبى الموحد أمام المقابل العربى الموحد فى المؤلفات والترجمات والكتب الدراسية المقررة ، كما اقترح الدكتور أحمد شيخ السروجية الأردنى فى مناقشات الندوة ، وعلى الدوام بتوزيع معجم اصطلاحات التخصص على الدارسين ليدرسوه ويمتحنوا

فيه بجدية وصرامة ؛ تحريرياً وشفوياً ،
كمادة نجاح ورسوب - ولن يكون ذلك
جديداً على التعليم الجامعى - حيث كُنَّا
ومازلنا ندرس مادة نصوص فلسفية
 واجتماعية ، أو قراءات إنجليزية فى التربية
وعلم النفس ، كما أننى درّست مادة
«مصطلحات قانونية» فرنسية فى حقوق
عين شمس ، ورأست لجنة تصحيح مادة
مصطلحات ونصوص إدارة الأعمال بكلية
التجارة جامعة القاهرة . فرع الخرطوم ،
حين كان يقوم بالتدريس مدرسو لغة
إنجليزية أو فرنسية متدربون من أقسام
اللغات بكلية الآداب فى الحالة الثانية بينما
استأثر دكاترة القانون الدارسون فى فرنسا ،
بتدريس هذه المادة من دون مدرسى
اللغات فى الحالة الأولى للمزيد من
الاهتمام بهذه المادة - غير أنه فى الحالين ،
ورغم كون تدريس المصطلحات أو
النصوص إجبارياً ، وأنها مادة نجاح
ورسوب لا لمجرد رفع درجات المجموع
الكلى أو التقدير العام ، كما فى المواد

القومية أو كان الامتحان شفويا أو تحريرياً
.. كان الامتحان صورياً بترجمة النصوص
والامتحان فى النص الدراسى المنظور فى
يد الطالب بجلسة الامتحان وقد دوّن
تغريب المصطلحات ... وكان الطالب
حتى ولو لم يحسن القراءة أو التغريب
يحصل على درجة النجاح بالكاد - لكيلا
يرسب فى النصوص أو المصطلحات ، وقد
نجح بالحفظ والاستظهار فى مواد
التخصص الأساسية (التى لا تعدم أن
تورد فى الكتاب المقرر للأستاذ اللفظ
الأجنبى مقابل اللفظ العربى)

لا غنى بعدئذ عن كسر حاجز التهيب
والخوف - بل التورّع - من أن التغريب إذا
مكّناه من العلوم الحديثة ليصبح لغتها
سوف يخفض المستوى العلمى للطلاب
ويهبط بمستوى تحصيل التخصص المهنى
والبحثى ، « فهذه صورة من اليأس ينبغى
أن نزيحها عن أنفسنا . وما دام قد صحَّ
منا العزم على صيرورة الطموحات إلى
واقع ، وقوى التسليم بيديهيّات أستاذ

الطب التونسي أحمد ذياب ، فى تجربته
الرائدة لتعريب تدريس علوم الطب - وهى:
أن توطين العلوم لا يفقدنا العلوم ، بل
على العكس من ذلك ، يرفع من شأنها
ومستواها ، وأنت إذا علّمت شخصاً بلغته،
فقد نقلت العلم إلى تلك اللغة ، بينما
إذا علمته بلغة أجنبية ، فقد نقلت ذلك
الشخص إليها - وفى النهاية فإن أمم اليد
العليا تفرض لغتها وثقافتها على أمم اليد
السفلى ، وإننا قد نقبل أن تدخل اللغة
الأجنبية بيوتنا ، لكننا لا نقدر أن نعوض
ضياح لغتنا القومية ، وأنه لا يليق بنا بعد
أن نقبل وصف التعريب بالانغلاق بينما هو
فى حقيقة الأمر يمثل الانفتاح الحق على
الذات والهوية الشخصية . . . فالجهاد فى
سبيل التعريب حيثئذ - فرض كفاية على
أمثاله من المجاهدين المخلصين ومن لفّ
لفه واتبع هداه .

٨ - والقرار اللازم تص'لوائح الجامعات على عروبة الأجيال :

فى السؤال الذى وجهه لأستاذ الطب
التونسي الدكتور أحمد ذياب - عقب
محاضرتة بالجزائر . عن تجربته التعريبية
فى ميدان التشريح - أحد رفاق السلاح ،
عما إذا كان قد أخذ قرار سياسى فى هذا
الشأن ، وأردف على رده بالإيجاب
متسائلاً : ومتى ذاك ؟ قال الأستاذ ذياب
- بنشوة الذى استطعم حلاوة التجربة وقد
جنى ثمارها : لقد حصل هذا القرار
السياسى مرتين : الأولى حين فتح عقبة بن
نافع القيروان فى القرن السابع الهجرى ،
وأما المرة الثانية فكان إقراراً لذلك حين
أمضى رئيس الدولة أمراً دستورياً يوم أول
نيسان (يونيو) ١٩٥٩ ، بأن تونس بلد
عربى ، لغته العربية ودينه الإسلام - وما
أروعه من رد . لقد خاض أستاذ الطب
العربى المسلم أحمد ذياب ، تجربة تدريس
مادة التشريح بالعربية فى صفاقس ، بعد
أن درّسها سنتين فى فرنسا لطلاب فرنسيين

هذه لغتهم ، ونسبة ٧٩ ٪ من مفردات علم التشريح باللغة اللاتينية التي سبق لهؤلاء الطلاب دراستها . فلما عاد للتدريس في وطنه وسأل عميد الكلية عن برنامج مادة التشريح وعن لغة التدريس ، وأجابه هذا بأنه هو نفس برنامج كليات طب فرنسا ، والتدريس باللغة الفرنسية ، ثم تبين له أن مستوى الطالب التونسي في اللغة الفرنسية وعدم معرفته بأي مفردة لاتينية لا يساعدان على فهم ما يقوله الأستاذ ، بل يؤديان إلى كراهية الطلاب للمادة والحق على مدرستها العربي اللسان والجنسية والموطن ؛ أقدم الأستاذ عن جانبه على إلقاء بعض الدروس باللغة العربية - حيث استشعر ابتهاج الدارسين وإقبالهم عليه . وحين عز عليه ألا يستطيع الطلاب الإجابة في الامتحان بلغتهم الفرنسية الركيزة ، عمد إلى استحداث الأسئلة المقررة والمتعددة الأجوبة تخفيفاً عليهم من الإجابة الإنشائية بالمقالات . . . إلى أن تم له سنة ١٩٨٥ ، وما بعدها التدريس الكامل لعلم التشريح باللغة العربية مع إقحام اللفظ الأجنبي للمفردات التي

يدرس بها الطالب المواد الأخرى بالفرنسية ، وتبديد مخاوف الطلاب التي صاحبت بالضرورة خوض هذه التجربة . وباستفتاء كاشف لآراء الطلاب واتجاهاتهم نحو تعريب تدريس العلوم الطبية جميعها انشرح صدر الأستاذ بما أثابه الله به على حسن صنيعه في استجابات الطلاب الواعية المستبشرة بأهمية التعريب في تكوين شخصياتهم المهنية والوطنية والقومية .

ليس القرار المطلوب إذن سياسياً - مادام دستور البلاد ينص على أن لغتنا هي العربية - كما تفضل الأستاذ الدكتور أحمد ذياب ، ولا أن معوقات التعريب من جهة أخرى "قانونية" ، كما تفضل الأستاذ الدكتور / محمد عماد فضلي ، في تعليقه على تجربة ذياب ، وهو يشير لتجربة له بمائلة أسبق في طب جامعة عين شمس درس فيها الطب النفسي وتاريخ الطب بالإنجليزية مع إعطاء المصطلح العربي ، ثم سمح للطلاب بالإجابة في الامتحان اختيارياً بأي من اللغتين - فأجاب ٤٧ ٪ منهم بالعربية . فلما عكس الآية في العام

التالى ودرس بالعربية مع إعطاء المصطلح الإنجليزي - ومراجع عربية وإنجليزية أيضاً - أجاب ٩٣ ٪ باللغة العربية . ثم إنه يهواية إجراء إحصاءات الفروق فى المستويات ، ومقاومته فى حماس فكرى هادى يخلو من الانفعال وإن أتم بالاصرار على ألا يظل الطالب صاحب المصلحة الحقيقية فى التعريب على هامش القضية . . . تغلب على دعاوى التمهّل أو التدرج فى التدريس بالعربية حتى لا يحدث انتكاس ، ودافع أخيراً أمام مجلس الكلية بأن « ليس لدينا فى لائحة الجامعة ما يمنع إلقاء الدروس باللغة العربية » ، إذ ينص البند الأول من اللائحة على أن : « التدريس فى الجامعة المصرية باللغة العربية إلا إذا استثنى بعض المواضع » ، وإذ لم يبق لدفع الحرج أمام مجلس الكلية عن أستاذ الدكتور ببول غليونجى ، الذى عاتبه على مخالفة اللائحة بدون علمه أو طلب استثناء المادة الثانية ، وهى علم النفس الطبى أيضاً . . . قبل اقتراح الأستاذ أن يترك هذه المادة ليدرسها بالإنجليزية زميله القادم الجديد وكأنما لم يكن هو

يدرسها بالإنجليزية قبل المبادرة بتعريبها .
إن موقف الأستاذ الدكتور عماد فضلى هنا ، قد كشف النقاب عن حقيقتين هامتين أرسى بهما الأساس لحسم مشاكل التعريب - أولاهما أن القرار المطلوب موجود بنص لوائح كليات الجامعة فليس علينا إلا حُسن تفهمه وصحة تفسيره ، والثانى : أن مصلحة الطلاب هى فى استيعاب العلم باللغة الأم .
إن فى مراجعة الدكتور غليونجى لنص اللائحة درءاً للمسئولية عن عدم علمه ، وتحويل مادة " الطب النفسى " لئن سدرسها ابتداء بالإنجليزية تغطيه لعدم الإذن باستثنائها ؛ لدليلاً على أن العلوم الطبية التى تدرس بالإنجليزية ، هى الاستثناء ، وما يلزم استثناء تدريسها بالعربية هو المطابق لنص اللائحة ، ولولا الحرج من تدريس مادتين متصلتين بالعربية ، وعلى يد نفس الأستاذ لكان من الأجدى منحه الاستثناء هو ، أو الأستاذ الجديد الذى لن يريد أن يخوض التجربة ، وإثبات أن ليس فى تدريس " تاريخ الطب " بالعربية - أسوة " بالطب

الشرعى " المعرب فى وزارة الصحة - ما
يؤيد كون المواد التى عربت أقل أهمية من
المواد الأخرى التى يتباهى أساتذتها
بالتعريب لرفع مستوى انفسهم بتقمص
شخصيات غريبة مرموقة وهم لم يدرسوا
بالغرب - إن لم يكن العكس الذى عبّر
عنه مستجيبو الأستاذ ذياب بمرارة فى
ملاحظة أحدهم الأخيرة قائلاً : فى السنة
الماضية ، وفى بداية التعريب بالذات ،
حذرني بعض الأساتذة - سامحه الله -
من هذا الشذوذ - خوفاً على المستقبل ،
ولم يكن بوسعى أن أسأله آنذاك :
مستقبلى أنا أم مستقبله هو؟ لابد إذن
للوائح كليات الطب بالذات - لأنها التى
تثور مشكلة تعريب التعليم بها أكثر من
غيرها - أن تُلغى عبارة "إلا ما استثنى"
حيث الاستثناء عودة للأصل - وأن تنفيذ
بند اللائحة الصريح فى أن التدريس
والامتحان بالعربية مع إعطاء المصطلح
الأجنبى ، وتدريس مقرر "مصطلحات فى
معجم الطب الموحد" الذى أصدره مجمع
اللغة العربية بالقاهرة - إجبارياً وبامتحان
شفوى وتحريرى .

وإن قضية تعريب التعليم العالى
لتنحسم أيضاً بما عبّر عنه الأستاذ الدكتور
فضلى عندما تفهم معه علاقة اللغة بالفكر ،
وتدبر ما فى قوله : " إن اللغة أساس
الفكر ، كون المقصود باللغة ، تلك التى
يتعلمها الطفل ويتكلم بها فى مجتمعه من
الثلاث إلى الخمس السنوات الأولى فى
حياته ، وإن فكرنا لن يكون واضحاً قادراً
على الإبداع والإضافة إلا إذا كنا نفكر فى
إطار الخصائص العقلية التى تتكون بها
شخصياتنا فى سن الطفولة هذا ، وإننا
أخيراً لن تكون لنا إسهاماتنا فى التقدم
العالمى إلا إذا استخدمنا لغتنا القومية فى
تلقى العلوم " . إن محك لنجاح عملية
التعليم بالعربية ، لهو مدى استفادة
الدارسين بما يحصلونه من معلومات
ومعارف فى مجالات تخصصهم النظرى ،
وما يكتسبونه من مهارات وابتكارات فى
حقول ممارستهم العملية التطبيقية - حيث
الشباب هم عدة وعتاد أمتنا العربية فى
تقدمها ونهضتها ، ومعقد آمالها فى ازدهار
ورخاء مستقبلها . كمال محمد دسوقي

عضو المجمع